

بحث ألفاظ المناخ في شعر الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) دراسة في ضوء الحقول الدلالية

م.د. ضحى صاحب عمران

الجامعة العراقية كلية التربية للبنات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد: فإنّ نظرية الحقول الدلالية تُعدّ من أهمّ مناهج الدرس اللغوي الحديث في الكشف عن العلاقات القائمة بين الألفاظ المنتمية إلى ميدان معرفي أو حسي واحد، وقد أثبتت هذه النظرية فاعليتها في مقارنة النصوص الأدبية القديمة، ولا سيّما الشعرية منها؛ إذ تتيح للباحث أن يتتبع حركة اللفظة الواحدة بين معناها المعجمي الأول ومنازعتها الدلالية والتصويرية التي يكسبها إياها السياق الشعري. ويأتي هذا البحث ليطبّق هذا المنهج على شعر الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، الوزير الأديب الذي جمع بين الرئاسة السياسية والمكانة الأدبية في القرن الرابع الهجري، فكان ديوانه حافلاً بألفاظ المناخ والظواهر الطبيعية التي وظّفها توظيفاً دقيقاً في سياقات شعرية متعددة. وقد اعتمد البحث في استقصاء هذه الألفاظ على ديوان الشاعر ومستدرّكه، محاولاً الكشف عن العلاقات الدلالية الرابطة بينها (كعلاقتي الجزء بالكل والترادف)، وعن أبعادها الفنية المتمثلة بالتشبيه والاستعارة والأنسنة، وعن توظيفها القرآني والتراثي، وعن ارتباطها بالأغراض الشعرية التي نظم فيها الشاعر كالمدح والغزل والفخر والهجاء. وقد جاء البحث - بعد هذه المقدمة - في عرضٍ مستمر يتناول ألفاظ المناخ والظواهر الطبيعية (البرق، والرعد، والسحاب، والرياح، والمطر، والغيث، والتلج)، تلاه خاتمة تُجمل أبرز النتائج التي توصّل إليها البحث، وقائمة بأهمّ المصادر والمراجع المعتمدة. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء الألفاظ من ديوان الشاعر، وتحليل سياقاتها الدلالية والفنية، والاستعانة بكتب اللغة والمعاجم والتفسير وكتب البلاغة فيما يخدم هذا التحليل.

التمهيد

أهمية الحقول الدلالية في شعر الصاحب بن عباد

أولاً: الحقول الدلالية؛ المفهوم والنشأة

الحقل لغة: القراح الطيّب من الأرض، وما شابه ذلك من معانٍ تدور حول الأرض والزرع^١. أمّا اصطلاحاً فيُتفق العلماء على أنّ الحقل الدلالي مجموعة من المفردات ترتبط بينها بعلاقة وتندرج ضمن مفهوم عام ذي اتساع دلالي؛ فهو - كما يعرفه أحمد مختار عمر - ((مجموعة الكلمات التي ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها))^٢، وللسياق أثر كبير في تعيين قيمة اللفظة ضمن هذا الحقل. ويُعدّ مصطلح الحقول الدلالية من المصطلحات الحديثة الظهور عند الغرب، إذ يُعَدّ الألماني (ماير) أول من عرض أفكاراً منظّمة حولها، ويعود الفضل في التأسيس لهذه النظرية إلى علماء المدرسة الألمانية وبخاصة (تراير)^٣. غير أنّ وجود المصطلح حديثاً عند الغرب لا يعني أنّ مفهومه لم يكن معروفاً عند العرب؛ فقد عرفوا هذا المفهوم واستعملوه في كثير من مؤلفاتهم، من ذلك: كتابا اللبّ واللبن والمطر لأبي زيد الأنصاري، وكتاب الخيل لأبي عبيدة، والغريب المصنّف لأبي عبيد، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصّص لابن سيده؛ وليس للغرب إلّا فضل التوضيح والتفصيل^٤. وقسم (أولمان) الحقول الدلالية على: الحقول المحسوسة المتصلة كنظام الألوان، والحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة كنظام العلاقات الأسرية، والحقول التجريدية كألفاظ الخصائص الفكرية^٥. وترتبط مفردات الحقل الواحد بعلاقات أبرزها: المشترك اللفظي (اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين)، والترادف (توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد)، والتقابل الدلالي (اختلاف لفظتين اختلافاً عكسياً تضادياً)^٦.

ثانياً: التكوين الذاتي والشعري للصاحب بن عباد

هو أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، وهو أول من لُقّب بـ(الصاحب) من الوزراء؛ لأنّه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد، ثم لُقّب بـ(كافي الكفاة) لما وُلّي وزارة مؤيد الدولة البويهية^٧. وُلد سنة ٣٢٦هـ، وتوفي سنة ٣٨٥هـ، وقد رثاه كثير من الشعراء،

وغطت المدينة وأسواقها حزناً عليه^٨. وله مؤلفات كثيرة أهمها: المحيط في اللغة، والكشف عن مساوئ شعر المتنبي، وكتاب الإمامة، وديوان رسائله في عشر مجلدات، وديوان شعره ومستدركه^٩. وقد اختلف في مذهبه بين إمامي ومعتزلي وحنفي وشافعي، والراجح أنه كان شيعياً معتزلياً لكثرة الأدلة على ذلك في شعره^{١٠}، وتميز بعدائه للشعوبية وتقضيله العرب على العجم. ويختم الحديث عنه بقول الثعالبي: ((وهو صدر المشرق، وتاريخ المجد، وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يُمدح به مخلوق))^{١١}.

ألفاظ المناخ: يوظف الشاعر بن عباد عدداً من ألفاظ المناخ بوصفها حقلاً دلاليّاً خاصاً تنفتح بشكل مباشر على الأغراض الشعرية التي يأتي عليها الشاعر، أي أن هذه الألفاظ تنفتح دلاليّاً وبشكل أوسع ضمن السياق الشعري الذي ترد فيه، ومن تلك الألفاظ: البرق: برق: ((الباء، والراء، والقاف، أصلان تتفرع الفروع منها: أحدهما لمعان الشيء، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء))^(١٢)، والبرق في اللغة هو لمعان الشيء، يقال: برق السحاب برقاً وبريقاً^(١٣)، والبرق: السحاب، والجمع: بروق، وقيل: هو سحاب ذو برق^(١٤)، وفي التاج: السحاب الذي يلمع في الغيم، ومن المجاز: برق الرجل ورعد^(١٥)، وبرق خلّب، أي ليس فيها مطر، جاء في الحديث النبوي الشريف: ((اللهم سقيا غير خلّب برقها))^(١٦)، أي غير خالٍ عن المطر، والبارقة: السحابة التي تبرق، والجمع: بوارق، وسُميت السيوف بارقة وبوارق تشبيهاً بالبرق^(١٧).

ومن ذلك قول الشاعر:

سيأتيك برق من هجائي خلّب
إذا كنت ذا برق من الودّ خلّب
وأنشد إذ صبحت تغلب قدرتي
بعجزك لم يغلبك مثل مغلب^(١٨).

إن نجد الشاعر يوظف كلمة برق مرتين مقتزنة بالهجاء، والبرق الخلّب هو البرق الذي لا مطر فيه، وتقال فيمن كان قوله غير مقروناً بعمل، وبهذا المعنى أراد الشاعر أن يضيف إلى شعره الهجاء أي أن هجاء الشاعر بن عباد له صنيع في نفس المهجو كما للبرق الخلّب من أثر كبير حين يُنذر بوجود مطر ثم لا يعقبه شيء، وهذه الصورة الأدبية المتجسدة في هذه الأبيات فيها حالة التماثل لتمثل الشاعر في مقارنته للطبيعة في سياقات شعرية مختلفة تتجسد فيها مفردات الطبيعة. ولللفظة (البرق) عند الشاعر وجه آخر يخرج عن دلالتها المجازية في الهجاء إلى دلالتها الحسية المباشرة، إذ يقول في وصف مشهد صيد من قصيدة طردية:

فأوركنها والسيف لمعة بارق
ولم يُنبها إحصارها وهي تهجد^{١٩}

ففي هذا الموضع يوظف الشاعر لفظة (بارق) تشبيهاً لسرعة ضربة سيفه ولمعانه المفاجئ حين باغت فريسته، مانحاً إيها -على سبيل الاستعارة- صفة العاقل الساهر بقوله "وهي تهجد"، أي منشغلة بعبادتها الليلية حين فاجأها. وبهذا يتضح أن الشاعر لم يقتصر على توظيف واحد للفظ (البرق)، بل نوع بين دلالتها الحسية الأصلية -الدالة على اللعان والسرعة المفاجئة، كما في هذا الموضع- ودلالاتها المجازية المكتسبة في سياق الهجاء -الدالة على القول الكاذب غير المقرون بفعل، كما في الموضع السابق-؛ وهذا التباين الدلالي داخل اللفظة الواحدة يعكس مرونة الشاعر في استثمار طاقات اللفظ الواحد بحسب مقتضى السياق والغرض الشعري.

الرعد: ((الراء، والعين، والدال، أصل واحد يدل على حركة واضطراب، وكل شيء اضطرب فقد ارتعد))^(٢٠) والرعد: ((الصوت الذي يسمع من السحاب))^(٢١)، وإنما يتأخر سماعه لاختلاف سرعتيهما، يقال: "رعدت السماء رعداً من باب قتل، ورُعوداً: لاح منها الرعد، وأرعد القوم إزعاداً: أصابهم الرعد، ورعد زيد رعداً: توعّد بالشر، وأرعد إزعاداً: مثله، ورعد يرعد وارتعد: اضطرب، والرعد - بالكسر - اسم منه"^(٢٢)، والرعد كما ورد في صبح الأعشى دخان يتصاعد من الأرض ويرتفع حتى يتصل بالسحاب ويدخل في تضاعيفه ويبرد فيصير ريحاً في وسط الغيم، فيتحرك فيه بشدة فيحصل منه صوت الرعد^(٢٣) وجاء في أمثال العرب قولهم: ((جاء بذات الرعد والصليل))^(٢٤)، ويضرب لمن يجيء بالشر والحرب؛ لأن هدير الحرب يشبه الرعد، ومن المجاز: ((رعد لي فلان وبرق))^(٢٥). والرواعد: سحابات فيها ارتجاس رعد، وسحاب رواعد، أي ذات رعد^(٢٦)، وقد وردت هذه اللفظة عند الشاعر في قوله:

يحكي السحاب طلوعه فصهيله
من رعه ومسيره من برقه
فنظمت مدحاً لا وفاء بمثله
وسجدت شكراً لا نهوض بحقه^(٢٧).

ففي البيت الأول وردت علاقة اشتغال بدل جزء من كل إذ أن الرعد كما نوهنا هو ناتج من حركة سحابتين، فيقدم الشاعر هذه الصورة بأسلوب بليغ، إذ يُكسب هذه المظاهر الطبيعية صفة الأحياء حين يماثلها مع ممدوحه في حركته التي عبر عنها باستعارة الصهيل، إذ شبه السحاب بالخيول حين تصهل، وهذا من براعة التشبيه؛ لأنه شبه طبيعة وهي (البرق والرعد في السحاب) بطبيعة أخرى وهي (الخيول في صهيلها) ثم جعلها صورة مكتملة الأركان ليشير بها إلى ممدوحه.

السحاب: قال ابن فارس: ((السَّيْن والحاء والباء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جرِّ شيءٍ مبسوطٍ ومَدّه، تقول: سَحَبْتُ ذَيْلي بالأرض سَحَباً، وسُمِّي السَّحَابُ سَحَاباً تشبيهاً له بذلك، كأنَّهُ يَنْسَحِبُ في الهواء انسِحَاباً))^(٢٨)، وقال الرَّاغب: ((أصل السَّحْب: الجرُّ كسحب الذَّيل، والإنسان على الوجه، ومنه السَّحاب، إمَّا لجرِّ الرِّيح له، أو لجرِّه الماء، أو لانجراره في مَرّه))^(٢٩). والسَّحَابَةُ: الغَيْمُ، والسَّحَابَةُ: التي يَكُونُ عنها المطر، والجمع: سَحَابٌ وسَحَابٌ، وسُحُبٌ وقيل: ((إنَّ السَّحَابَ اسم جنس جمعي، واحده: سحابة، يُذَكَّرُ ويؤنَّثُ، ويُفرد ويُجمع، وسُحُبٌ، بضمِّتين، يجوز أن يكون جمعاً لسحابٍ أو لسحابة))^(٣٠)، ومن المجاز: سَحَبْتُ فيها الرِّيحَ أدْيالها^(٣١). ومن المجاز أيضاً: السَّحْبُ بمعنى شِدَّةُ الأكل والشُّرب^(٣٢)، وقيل أيضاً جَرُّكَ الشَّيْءِ، كسحب المرأة ذيلها، وكسحب الريح التراب، وسمي السحاب لانسحابه في الهواء^(٣٣).

وقد وردت هذه اللفظة عند الشاعر بدلالاتها الظاهرة تارة، وبدلالات مختلفة، إذ جاء في قوله:

وما زلتُ مشتاقاً لنور جبينه شوقَ الرياض الى السحاب وودَّقه

يشير الشاعر إلى مظهر مهم من مظاهر الطبيعة، ألا وهو حاجة تلك الرياض للمطر، فعبّر عنها بالشوق مضيفاً لها السحاب في سياق عاطفي، ليثير انفعالاً حسيّاً ملائماً لسياق الحال الذي قدم له الشاعر بقوله (وما زلتُ مشتاقاً) فقد عمد الشاعر إلى عقد مقارنة حسية عاطفية لما به من شوق وحاجة لرؤية ممدوحه، وكما لا تدوم الرياض دون غيث، فلا حياة للشاعر دون رؤية محبوبته التي شبهها بالسحاب، فالسياق خبري ذو أسلوب مجازي دلّ فيه لفظ السحاب على معناه الحقيقي. الريح: نسيم الهواء المتحرك بين السماء والأرض، والجمع رياح وأرواح. نجد أن كلمة (الرياح) بصيغة الجمع ترتبط باللين والرقّة وتكون محبة للإنسان، ونجد صيغة الجمع تأتي في القرآن في آيات الرحمة في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيحَ بِشَرِّ بَيْنِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(٣٤)، وسُمِّيَت الرِّيحَ ريحاً؛ لأنَّ الغالبَ عليها المجيء بالروح والراحة^(٣٥). وأصلُ الباء في الرِّيح الواو، والأصل (روح)، وإنَّما قُلِبَتْ ياءً لكسرة ما قبلها، والروح رُوحُ الإنسان، وهو مشتقٌّ من الرِّيح^(٣٦)، وهي مؤنثة، وقيل: هي نسيمٌ كلِّ شيءٍ، والجمع: رياحٌ، وقد تُجمع على أرواح؛ لأنَّ أصلها الواو^(٣٧) وسُمِّيَ عيسى وجبريل (عليهما السلام) رُوحاً، والنِّسبة إلى الملائكة والجنِّ رُوحانيّ، بضمِّ الراء والجمع: رُوحانيُّون^(٣٨)، وقد وردت لفظتا (الرِّيح) و(الرِّيح) كثيراً في أمثال العرب أذكر منها المثل المشهور: ((تجري الرِّيح بما لا تشتهي السُّفُنُ))^(٣٩)، ويُضرب هذا المثل لمجيء الأمور على غير ما تريده النفس، أي ليس كلُّ ما تتمنَّاه تحصل عليه، إذ تحصل أحياناً على ما تكره. والمثل الآخر: ((أكذب من الرِّيح))^(٤٠)، ويُضرب في شتم الرُّجُل والدُّعاء عليه، وهناك ألفاظٌ كثيرةٌ تدلُّ، وقد وردت هذه الوحدة المعجمية عند الشاعر بكيفياتها إذ قال في أحد المواضع:

حتى بدا من فوق أجردٍ سابحٍ إن قال: فُتَّ الرِّيحُ فاه بصدقه^(٤١)

فيشبه قول ممدوحه من حيث الصدق بالريح التي لا تخطئ، وفي قصيدة أخرى يستعمل الصاحب بن عباد لفظة الريح في سياق اجتماعي مؤثر لا يقل عن باقي قصائده البسيطة والمنمقة إذ يقول:

حُسِفَتْ بِهِ الأصنامُ بعد علوها فكأنَّه رِيحٌ وهاتا عادُ^(٤٢)

فقد وردت لفظة الريح عند الشاعر ضمن سياق اجتماعي ديني في إشارة منه إلى الريح التي عصفت بقوم عاد وثمود فأهلكتهم، ومن ذلك يمكننا أن نلاحظ كيف أن أسلوب الشاعر في المدح أو الهجاء هو وضع مقارنة حسية قوامها التشبيه؛ بغية التأثير في المخاطب. وفي موضع آخر يشبه الشاعر جري فرسه بسرعة الريح، إذ يقول:

وقدِّ لنا من مربط الخيل أشقرُ إذا ما جرى فالريحُ تكبو وتُركدُ^(٤٣)

فقد وظَّف الشاعر لفظة الريح هنا في سياق الفخر بجواده؛ إذ جعل سرعته تفوق سرعة الريح نفسها حتى تكبو الريح وتقف عاجزة عن اللحاق به، وهذا من صور المبالغة التي يعتمد إليها الشاعر في تصوير ممتلكاته وما يفخر به. المطر: الماء المنسكب من السحاب، والمطر ماء السحاب، والجمع أمطار والمَطَرُ: فعل المطر وأكثر ما يجيء في الشعر، والمطرَةُ: الواحدة ومطرتهم السماء تمطرهم مطراً، وأمطرتهم: أصابتهم بالمطر^(٤٤)، والمَطَرُ أيضاً: الماء المنسكب من السَّحاب، والجمع: أمطارٌ. ومَطَرٌ: اسم رجلٍ، سُمِّيَ به من حيثُ سُمِّيَ غيثاً، والواحدة: مَطَرَةٌ^(٤٥)، ويقال: يوم مُمْطَرٌ ومَاطِرٌ ومَطَرٌ، أي ذو مَطَرٍ، ومكانٌ مَمْطُورٌ ومَطِيرٌ^(٤٦)، والمُتَمَطِّرُ: وهو الَّذِي يُمْطِرُ ساعةً ويَكُفُّ أخرى^(٤٧)، ومن المجاز: ((يعدو بشدَّة كصوت المطر))^(٤٨)، ومن الجدير بالذكر أنَّ الجاحظ أول من تنبَّه للفرق بين المطر والغيث قائلاً: ((وكذلك ذكر المطر، لأنَّك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث))^(٤٩)، وقد فرَّق أبو هلال العسكري بين (الغيث) و(المطر) قائلاً: ((الغيث: المطر الَّذِي يغيث من الجذب، وكان نافعاً في وقته، والمطر: قد يكون نافعاً، وقد يكون ضاراً في وقته، وفي غير وقته))^(٥٠) وقد وردت لفظة المطر عند الشاعر (تسع) مرات إذ يقول في أحد المواضع:

ومهبط الثلج والأمطار جميعُ ذا من صنعة الجبَّار

فالشاعر استعمل لفظة المطر الواردة بصيغة الجمع؛ لإثبات قدرة الله على الخلق، فكأنما هذا المطر والثلوج هي مظاهر طبيعية السبب الرئيس فيها هو اثبات قدرة الله على الخلق وما يؤكد قوله هو ورود لفظة الجبار، وقد جاءت لفظة المطر بمعناها الظاهر في أسلوب خبري مباشر.

الغيث: الغيثُ: المطرُ، وقد غاثَ الغيثُ الأرضَ، وغاثَ الله البلادَ يَغِيثُهَا غَيْثًا وَغِيْثَتِ الأرضُ تُغَاثُ غَيْثًا، فهي أرضٌ مَغِيْثَةٌ وَمَغِيْوَةٌ^(٥٠)، وجاء في معجم مقاييس اللغة أَنَّ الغيثَ هو: ((الحيا النَّازل من السَّماء))^(٥١)، وقيل: هو المطر الخاص بالخير، الكثير النَّافع؛ لأنَّه يُغَاثُ به النَّاسُ^(٥٢)، ومن المجاز: ((الغَيْثُ: الكَلأُ يَنْبُثُ بماء السَّماء))^(٥٣)، اسم للمطر كله، غاثهم الله وأصابهم الغيث والغيث: الكَلأُ ينبت من المطر ويجمع على الغيوث، وأرضا مغيوثة ومغيثة، وقيل: الأصل المطر، ثم سمي ماينبت به غيثاً^(٥٤) وقد وردت لفظة الغيث عند الشاعر في سياق فخره بنفسه إذ يقول:

ولو قيل للغيث: اسقها ما اهتدى لها ولو ظلَّ مِلء الأرض وهو جزور
تجشَّمُهَا والليلُ وَخَفَّ جناحُه كأنِّي سرٌّ والظلام ضمير^(٥٥)

فتمة ترابط وثيق بين الغيث والسقي من جهة التداخل الدلالي بين هاذين اللفظين وقد أراد الشاعر أن يسحب دلالة الغيث والسقي لنفسه بداعي الفخر والاعتزاز بالذات، فعطاه عطاء الغيث وبهذا يكون الغيث والسقي لهما دلالة شعرية مجازية أكثر منها حقيقة، وفي البيتين ثمة تعالق نصي إذ يعبر الشاعر عن اعتزازه بذاته التي جادت كما الغيث فأمطرت بكرم، وقد أورد الشاعر تشبيهاً مجازياً؛ ليقرب الصورة إلى ذهن المتلقي، إذ شبه نفسه بالسر الذي يدفنه الليل كما تخبئه الضمائر، ليدل على نجاعة الموقف إذ قدَّم الليل بوصفه طائراً مدَّ جناحيه ليحتضنه، وتلك الألفاظ المشحونة بالطاقات الدلالية المعبرة عن حقل الطبيعة، مثل لها الشاعر في معظم أبياته.

ويستعمل الشاعر لفظة الغيث أيضاً في سياق الدعاء بالخير لبلدٍ يعتزُّ به، إذ يقول مخاطباً أصفهان:

يا أصفهانُ سَقِيَتِ الغِيثُ من كَثِبٍ فأنتِ مجمعُ أوطاري وأوطاني^{٥٥}

فالغيث هنا خرج عن دلالاته الحقيقية إلى دلالة الدعاء بالخصب والنماء، إذ يربط الشاعر بين هطول الغيث وازدهار البلد الذي يحبه، وفي هذا الاستعمال توسع في دلالة اللفظ من المعنى الحسي المادي إلى معنى معنوي يحمل مشاعر المحبة والانتماء. الثلج: "معروف والجمع ثُلُوجٌ، وتَلَجَّتْنا السماء، من باب قَتَلَ، أَلْقَتْ علينا الثلج. ومنه يقال: تَلَجَّتِ الأرضُ، بالبناء للمفعول، فهي مَثْلُوجَةٌ، وقيل للبلد: مَثْلُوجُ الفُؤَادِ، وتَلَجَّتِ السماء - بالآلف - لغة، وتَلَجَّتِ النفسُ ثُلُوجًا وتَلَجًّا، من بابي قَعَدَ وتَعَبَ: اطمأنت"^(٥٦)، وقد وردت هذه الوحدة المعجمية عند الشاعر في وصف الطبيعة إذ يقول:

أقبل الثلج في غلائل نَورٍ تنهادي بلؤلؤٍ منثورٍ
فكأنَّ السماءَ صاهرت الأَر صَ فصار النثارُ من كافور^(٥٧)

فكلمة الثلج في هذا السياق الشعري تندرج ضمن الحقول الدلالية المتعلقة بألفاظ المناخ وبرؤية شعرية تكشف ولع الشاعر بالطبيعة وجمالها فتمة ترابط وثيق في هذا النص الشعري بين الثلج والسماء والأرض المقترن بغلائل النور واللؤلؤ المنثور، وهذا السياق يتكرر عند صاحب بن عباد حيث ينقل شيوخ أجواء البرد في نظم الشعر.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في ديوان صاحب بن عباد نقصياً لألفاظ المناخ والظواهر الطبيعية، خلص البحث إلى جملة من النتائج، أبرزها:

١. أظهر صاحب بن عباد ميلاً واضحاً لاستقصاء ألفاظ المناخ والظواهر الطبيعية في شعره، حتى غدت هذه الألفاظ لازمةً أسلوبية ملازمة لتجربته الشعرية.
٢. تصدر لفظ (المطر) قائمة ألفاظ هذا الحقل وروداً في ديوان الشاعر، إذ تكرر تسع مرات، تلتها ألفاظ (الريح) و(البرق) بتكرار أقل، في حين اقتصر ورود (الرعد) و(الثلج) على مرة واحدة، مما يكشف عن تفاوت في درجة حضور هذه الألفاظ في معجمه الشعري.
٣. قامت العلاقة الدلالية بين ألفاظ الحقل الواحد على أساس الترادف بين (المطر) و(الغيث)، وعلى أساس علاقة السبب بالنتيجة بين (السحاب) و(البرق) و(الرعد).
٤. وظَّف الشاعر ألفاظ هذا الحقل ضمن أغراض شعرية متعددة، أبرزها الفخر بنسبة صفة الغيث إلى الذات وبتفوق جواده على الريح سرعةً، والدعاء بالخير للبلدان بلفظ الغيث، والهجاء بتوظيف البرق الخلب دلالةً على القول غير المقرون بعمل، في حين وردت اللفظة نفسها (البرق) في سياق الوصف الحسي دالةً على اللعان والسرعة المفاجئة، مما يكشف عن تنوع دلالي داخل اللفظة الواحدة بحسب الغرض الشعري.
٥. اعتمد الشاعر أسلوباً أنسنة الظواهر الطبيعية وتشخيصها، فمنحها صفات الأحياء، كتشبيه السحاب بالخيال الصاهل، وهو ما أضفى على نصوصه طابعاً تخيلاً ومجازياً.

٦. تجلّى حضور النص القرآني في توظيف الشاعر لبعض ألفاظ هذا الحقل، كتوظيفه لفظة (الرياح) في سياق يستحضر معنى الرحمة القرآنية، بما يكشف عن نزوع الشاعر إلى إضفاء أبعاد روحية على صوره الشعرية.
٧. تباينت دلالات ألفاظ المناخ بحسب موقعها من الغرض الشعري، فبينما ارتبط (المطر) و(الغيث) بالكرم والعطاء، ارتبط (البرق الخلب) بالقول غير المقرون بفعل، وارتبط (الثلج) بجمال المشهد الطبيعي.
- وخلاصة القول: إنّ الصاحب بن عباد امتلك ذائقة شعرية رفيعة مكنته من تحويل ألفاظ المناخ من مسمّيات مادية إلى طاقات دلالية وتصويرية، فكانت أحوال المناخ عنده مرآة لعواطفه، وأداة بناء صوره الشعرية المبتكرة التي مزجت بين الحسي والمجرد.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ديوان الصاحب بن عباد.
٣. مستدرک ديوان الصاحب بن عباد.
٤. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (جار الله)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٥. أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية: د. أحمد عزوز، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ٢٠٠٧م.
٦. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.
٧. الأمثال المولدة: (تُسبب ضمن أدب الأمثال، وتختلف نسبتها باختلاف المحقق؛ تصدر عادة ضمن دراسات التراث اللغوي والأمثال العربية المقارنة).
٨. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مكتبة الهلال، القاهرة - مصر، ٢٠٠٣م.
٩. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي (محب الدين أبو الفيض)، دار الهداية (تحقيق مجموعة من المحققين)، الكويت.

١٠. التمثيل والمحاضرة ويثيمة الدهر: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م (تحقيق: رمزي منير بعلبكي).
١٢. الحقول الدلالية في شعر ذي الرمة: سعيد عبد الحميد غالب الندوي، رسالة ماجستير/دكتوراه، دراسة تطبيقية في المعجم العربي.
١٣. الريح: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ويُنسب أحياناً بتحقيق ابن خالويه).
١٤. الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م (تحقيق: د. حاتم صالح الضامن).
١٥. زهر الأكم في الأمثال والحكم: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اليوسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
١٦. السحر الحلال في الحكم والأمثال: عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٧. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون).
١٨. صاحب بن عباد حياته وأدبه: د. محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٨م.
١٩. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩١٣-١٩٢٢م.
٢٠. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار).
٢١. علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨م.
٢٢. علم الدلالة التطبيقي: د. هادي نهر، دار الأمل، إربد - الأردن، ٢٠٠٥م.
٢٣. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان (تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي).
٢٤. الغريب المصنف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.
٢٥. فصول في فقه العربية: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.
٢٦. فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٢٧. في علم الدلالة، دراسة تطبيقية: (من المؤلفات الأكاديمية المشتركة أو المتعددة الباحثين في حقل اللسانيات المعاصرة).
٢٨. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.
٢٩. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ«سيبويه»، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م (تحقيق: عبد السلام محمد هارون).
٣٠. كتاب الخيل: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.
٣١. اللبأ واللبن، والمطر: أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، (من الرسائل اللغوية المطبوعة ضمن مجموعات التراث اللغوي).
٣٢. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.
٣٣. مباحث في اللسانيات: أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩م.
٣٤. مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، دار المعرفة، بيروت - لبنان (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد).
٣٥. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٩٩٩م.
٣٦. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بـ«ابن سيده الأندلسي»، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٩٦م.
٣٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
٣٨. معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، ١٤١٢هـ.
٣٩. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٧٩م (تحقيق: عبد السلام محمد هارون).

٤٠. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ«الراغب الأصفهاني»، دار القلم، دمشق/الدار الشامية، بيروت، ١٤١٢ هـ (تحقيق: صفوان عدنان الداودي).
٤١. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٧٩ م (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي).
٤٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، دار الثقافة، بيروت - لبنان (تحقيق: إحسان عباس).

- ^١ ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ٢/٨٧؛ وكتاب العين، الخليل بن أحمد: ٣/٤٥.
- ^٢ علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ٧٩.
- ^٣ ينظر: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، د. أحمد عزوز: ١١-١٣؛ ومباحث في اللسانيات، د. أحمد حساني: ١٦١.
- ^٤ ينظر: في علم الدلالة، دراسة تطبيقية: ٢٣؛ والحقول الدلالية في شعر ذي الرمة، سعيد عبد الحميد غالب النداوي: ٦.
- ^٥ ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ١٠٧.
- ^٦ ينظر: الكتاب، سيبويه: ١/٢٤؛ وفصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب: ٣٢٧؛ وعلم الدلالة التطبيقي، هادي نهر: ٥٣٨.
- ^٧ ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي: ١٦/٥١١-٥١٢؛ ووفيات الأعيان، ابن خلكان: ١/٢٢٩.
- ^٨ ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان: ١/٢٣١.
- ^٩ ينظر: أعيان الشيعة: ٣/٣٥١-٣٥٢.
- ^{١٠} ينظر: صاحب بن عباد حياته وأدبه: ٦٩-٨٦.
- ^{١١} يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي: ٣/١٨٨.
- ^(١٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (برق): ١/٣٢١.
- ^(١٣) ينظر: المصدر نفسه، (برق): ١/٢٢١.
- ^(١٤) ينظر: مختار الصحاح، (برق): ٣٣.
- ^(١٥) ينظر: تاج العروس، (برق): ٢٥/٣٨.
- ^(١٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥٨/٢.
- ^(١٧) ينظر: جمهرة اللغة، (برق): ١/٣٢١.
- ^(١٨) مستدرك الديوان: ١٢٥.
- ^{١٩} الديوان: ٣٠.
- ^(٢٠) معجم مقاييس اللغة، مادة (رعد): ٢/٤١١.
- ^(٢١) لسان العرب، مادة (رعد): ٦/١٧٣.
- ^(٢٢) المصباح المنير: ١٢١.
- ^(٢٣) صبح الأعشى: ٢/١٦٩.
- ^(٢٤) زهر الأكم في الأمثال والحكم: ٢/٦٥.
- ^(٢٥) أساس البلاغة، (رعد): ١/٣٦١.
- ^(٢٦) ينظر: العين، (رعد): ٢/٣٣.
- ^(٢٧) مستدرك الديوان: ٢٥٠.
- ^(٢٨) معجم مقاييس اللغة، (سحب): ٣/١٤٢.
- ^(٢٩) المفردات في غريب القرآن: ٣٩٩.
- ^(٣٠) ينظر: اللسان، (سحب): ١/٤٦١.

- (٣١) تاج العروس، (سحب): ٤٣/٣.
- (٣٢) ينظر: أساس البلاغة، (سحب): ٤٤١/١.
- (٣٣) ينظر: تاج العروس، (سحب): ٤٢/٣ - ٤٣.
- (٣٤) الأعراف: ٥٧.
- (٣٥) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس : ٣٨٤/٢.
- (٣٦) ينظر: الريح، لابن خالويه: ٥١. ومعجم مقاييس اللغة ، (روح) : ٤٥٤/٢.
- (٣٧) ينظر : الريح، لابن خالويه: ٥١، واللسان، (روح) : ٤٥٥/٢.
- (٣٨) ينظر: مختار الصحاح ، (روح) : ١٣١.
- (٣٩) التمثيل والمحاضرة، للثعالبي: ١١٢/١، وينظر : مجمع الأمثال، للميداني: ١٥٠/١، والسحر الحلال في الحكم والأمثال: ١٠٥.
- (٤٠) الأمثال المولدة: ١٤٤.
- (٤١) مستدرك الديوان : ٢٥٠.
- (٤٢) الديوان : ١٢١.
- (٤٣) الديوان : ٢٨.
- (٤٤) ينظر: اللسان، (مطر): ١٧٨/٥.
- (٤٥) ينظر: القاموس المحيط، (مطر): ٤٧٦.
- (٤٦) ينظر: نفسه: ٤٧٦.
- (٤٧) أساس البلاغة: ٢١٨/٢.
- (٤٨) البيان والتبيين: ٤١/١.
- (٤٩) معجم الفروق اللغوية: ٣٩١.
- (٥٠) ينظر: الصحاح، (غيث): ٢٨٩/١.
- (٥١) معجم مقاييس اللغة، (غيث): ٤٠٣/٤.
- (٥٢) ينظر: تاج العروس، (غيث): ٣١٧/٥.
- (٥٣) تاج العروس، (غيث): ٣١٧/٥.
- (٥٤) مستدرك الديوان ٢٢٤-٢٢٥.
- (٥٥) الديوان : ٢٩٦.
- (٥٦) المصباح المنير: ٤٨.
- (٥٧) مستدرك الديوان : ٢٢٩.